

هل نحن ماضون الى البلقنة؟

2017-01-28 ناظم علي

ليس من عجائب عالمنا ان تتنافى ظواهر الامور مع بواطنها، خصوصا في جوانبها القانونية والسياسية والاقتصادية والإعلامية، ولا مناص من التفكير الناقد لما آلت اليه اوضاعنا. وهذه محاولة عسى ان تلفت اليها اذهان المعنيين ذوي الاختصاص.

بداية ان ميثاق الامم المتحدة هو بمثابة "دستور" لها ان جاز لنا التعبير لهذه المنظمة العالمية. جاء في الديباجة " نحن شعوب الامم المتحدة نقرر وقد الينا على انفسنا انقاذ الاجيال القادمة من ويلات الحروب، والتي جرت مرتين في حياتنا -يقصدون الحرب العالمية الاولى والثانية-وجلبت الولايات التي يعجز عنها الوصف ..".

لم يفلحوا بتحويل هذا الكلام الى واقع، وقد تنازع العالم بعدها كما هو معروف المد الشيوعي السوفيتي والرأسمالي الاميركي، ليواجه الناس الخوف الحقيقي من التهديد النووي المتبادل. وقد ذكر الاستاذ (حسن نافعة) في كتابه: الامم المتحدة في نصف قرن. -الصادر عن عالم المعرفة الكويتي-اسفه من السلبيات التي لم تعالج، منها المادة 43 التي تلزم الدول الاعضاء قانونا بأن تضع على نحو دائم قوات سابقة التجهيز تحت تصرف مجلس الامن. والتي لم تدخل حيز التنفيذ، بل حلت قوة الولايات المتحدة الاميركية محلها.

ففي الوقت الذي قامت بمشروع مارشال لانقاذ الدول الاوربية واليابان في العلن، كانت تسعى الى الهيمنة في الخفاء، من خلال تبعية هذه الدول لها وان لا تقع فريسة سهلة باحضان السوفييت، كما ان انتصار الثورة الاشتراكية في الصين في العام 1949 جعل اصرار الادارة الاميركية ابعاد حكومة الصين الشعبية من التمثيل حينما جعلت حكومة تايوان تحل محلها في مجلس الامن حتى عام 1971، فضلا عن تدخلها لصالح كوريا الجنوبية ضد الشمالية عام 1950، وكذا في فيتنام الجنوبية ضد الشمالية إلا انها فشلت في مسعاها. كل ذلك جرى باسم الامم المتحدة. وابتدأت ثورات اوربا الشرقية في 1989 وسقوط جدار برلين، واستمرت الاحداث الدراماتيكية الى سقوط الاتحاد

السوفيتي 1991، وبدا للعيان ان التاريخ قد قال كلمته وانتصر في نهاية التاريخ -فرانسييس فوكوياما-.

فتحولت تلك البلدان الى اقتصاد السوق، وايدت اسيا الوسطى هذا الاتجاه وسارت في الركب، وانتصرت القوة على القانون اخيرا. لقد ضربت اميركا بمعية حلف الشمال يوغسلافيا السابقة بعيدا عن مجلس الامن، بحجة حماية المسلمين. كما قامت مع بريطانيا بفرض حظر الطيران شمال وجنوب العراق -زمن صدام- كذلك بعيدا عن مجلس الامن بحجة حماية الاكراد والشيعة.

ومع ظاهر وباطن الامور تتقعد وتتأزم المشاهد، وتختلط على اولي الالباب. وما عرضه هو مقدمة لموضوع اشد تعقيدا، رغم اوجه التشابه بين حالنا اليوم وحال دول البلقان في نهاية عقد التسعينات من القرن الماضي. صدم العالم باحداث الحادي عشر من ايلول 2001، وتم احتلال افغانستان، بحجة القاعدة والارهاب. ثم صدر في العام 2002 تقرير التنمية الانسانية العربية، كان الشعار المرفوع هو: خلق الفرص للأجيال القادمة . والتي كتبها " نخبويون عرب" بتعاون الامم المتحدة من خلال البرنامج الانمائي. وقامت اميركا بغزو العراق 2003، ممهدة لمشروع " الشرق الاوسط الكبير" عام 2004 والذي عرضه على مجموعة الدول الثمان الصناعية . فتبنت هذا التقرير كهدف من اهدافها:

- تشجيع الديمقراطية والحكم الصالح.

- بناء مجتمع معرفي.

- مبادرات في اصلاح التعليم وفرص الاقتصاد.

وأصبح الامر واضحا حينما تأسس صندوق الامم المتحدة لدعم الديمقراطية في العام 2005، والذي يمول منظمات المجتمع المدني. هل الامم المتحدة تسيير وفق الفلسفة الاميركية؟

هنا اذكر في العام 2005 ان حصلت ندوة علمية في الاسكندرية -مصر، نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، عنوانها دولة الرفاهية الاجتماعية، وقد شارك المعهد السويدي فيها كتجربة رائدة بهذا

المجال. وقدم الحاضرون ابحاثهم، تخللتها التعقيبات والردود، لفت انتباهي احد الباحثين بقوله: إن من آليات العولمة البلقنة!

فرد عليه رجل من دولة خليجية بقوله: كيف تقول ذلك والولايات المتحدة الاميركية تخطط لقيام الشرق الاوسط الكبير من تركيا الى باكستان؟، الا ان الايام وحدها كفيلة بكشف الحقائق بعد ذلك. ظهر تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام 2009 وشعاره: تحديات أمن الإنسان في البلدان العربية.

وكأنه توقع فعلا ما سيحدث، فعصف بنا " الربيع العربي " 2011 الذي قلب الامور رأسا على عقب. وخرجنا من التاريخ، لندخل بفوضى ونفق مظلم . وصولا الى اخر تقرير للتنمية الإنسانية العربية للعام 2016 وشعاره: الشباب وآفاق التنمية واقع متغير.

نعم الشباب من كلا الجنسين، هذا ما تصرح به الاستراتيجية الجديدة الاميركية، والتي اعدتها

(مادلين اولبرايت و ستيفين هادلي) للعام 2016, وهو التقرير النهائي لمجموعة عمل استراتيجية الشرق الأوسط التابع للمجلس الأطلنطي. فما هذا التناغم العجيب بين الجانبين؟. وانطلق مع تولي ترامب الادارة الأميركية، هل نحن ماضون الى البلقنة؟!

والتوجه الجديد في الشرق الاوسط يشير الى فرض تسويات سياسية في شكل الدول، واقامة فيدراليات او كونفدراليات. وتسليم زمام الامر لجيل جديد بعد ان تم تدمير أجيال الاجداد والاباء. يردد كيبغاء ما تقوله الولايات المتحدة، كونه في غالبه فارغ من المضمون، الوطني والتاريخي. ويفكر بمنطق المهزوم، والانبهار العولمي.

ولا يفهم من كلامي انني بذلك اميل الى الجانب الروسي، فهؤلاء ليسوا أقل اجراما كما نعرف من تاريخهم، خلاصة القول لقد أعدوا لنا جيلا يناسب حضارتهم ومدنياتهم وفلسفتهم، لكي يبدأوا به اعادة اعمار الاوطان من جديد. والسؤال يبقى قائما: هل شعوب الشرق الاوسط هم متوسطي الذكاء والفهم والهمة؟، أم سنرى خلاف ذلك؟.